*مصلحة حفظ الدين وطرق المحافظة عليه من جانب الوجود والعدم 3*

*بحث فى مقاصد الشريعة*

*إعداد أ/ دينا فتحي حسين متولى*

*قسم الفقه وأصوله*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*dina\_fathi@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في مصلحة حفظ الدين وطرق المحافظة عليه من جانب الوجود والعدم**

**الكلمات المفتاحية : معاجم ، اللغة العربية ، المعاني**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن مصلحة حفظ الدين وطرق المحافظة عليه من جانب الوجود والعدم**

1. **عنوان المقال**

**موقف الإنسان في هذا الكون وصلته به:**

**أما من حيث صلة الإنسان بهذا الكون: فإن الإنسان هو أحد المخلوقات الكونية التي أسكنها الله هذه الأرض؛ ليشارك ما فيها في كثير من الصفات، وينفرد هو بصفات خاصة، فهو يشارك الجمادات؛ لأنه من تراب، ويشارك النبات في نموه وفي كثير من مواد تركيبه، ويشارك الحيوان بأنواعه في كثير من صفاته وغرائزه في طعامه وشرابه وتناسله، ولكن مع هذه المشاركة، فإن الله تعالى ميزه وكرمه وفضله على كثير ممن خلق بكثير من الصفات وعلى رأسها العقل، ولا يشك أحد في أن الإنسان يعتبر جزءًا من هذا الكون، ولكنه جزء له موقع خاص من بين أجزاء هذا الكون، بل يعتبر مركزًا لبقية الأجزاء، وهي مسخرة لمنافعه ومصالحه، أحدهما: جانب الاستثمار والانتفاع والتسخير لمنافعه ومصالحه، والثاني: جانب الاعتبار والتأمل والتفكير في الكون وما فيه من مظاهر.**

**أما الجانب الأول: فيبدو واضحًا في كثير من آيات القرآن الكريم؛ لأن القرآن الكريم لا يذكر جزءًا من الكون، إلّا ويشير ما فيه للإنسان من منافع، وذلك كقوله تعالى:** {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ} [ **[عبس: 24- 25] إلى قوله تعالى**{ﯲ ﯳ ﯴ} **[عبس: 32]، فالنبات متاع للإنسان ولأنعامه، وقوله تعالى:** {ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ} **[النحل: 5]، إلى قوله تعالى** {ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ} **[النحل: 7] وغير هذا مما جاء في منافع الأنعام والخيل والحمير والبغال، وتسخير الأرض والبحار والأنهار، وغير ذلك مما أفاض القرآن بذكره، وهذا يدفع بالإنسان إلى استثمار الكون وتسخيره لمنافعه ومصالحه، وبذلك يشعر الإنسان بأنه كائن مكرم ومفضل في هذا الكون، وهذا يلفت نظره إلى هذه النعمة التي خصها بها خالقه، فقد يكون مصدر لهدايته إلى الإيمان بالله تعالى.**

**أما الجانب الثاني: من صلة الإنسان بالكون والطبيعة: فإنّه يتخذه مجالًا وميدانًا لتأمله وموضوعًا لتفكيره، فجميع أجزاء الكون وحوادثه، ترد في القرآن الكريم مقرونة بألفاظ دالة على الحواس، كالرؤية والنظر والبصر والسمع، والألفاظ الدالة على التفكير، كلفظ** {ﮩ} {ﭮ} {ﮇ} {ﮒ} {ﭺ} {ﮤ} {ﮞ}، **ومن ذلك قوله تعالى:** {ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} **[السجدة: 27]، وقوله تعالى:** {ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ}، **وما جاء في خواتم الآيات الداعية إلى التفكير والتأمل، كقوله تعالى:** {ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ} **[الروم:21]، وقوله تعالى: {ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ} [الروم: 24].**

**عن طريق هاتين الصلتين يربط الإنسان القرآن بالكون، وعن طريق التأمل والتفكير والتدبر في ملكوت السماوات والأرض وفي نفس الإنسان، قال تعالى:** {ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ} **[الذاريات: 20- 23]، يصل الإنسان إلى الإيمان بوجود الله ووحدانيته واتصافه بصفات الجلال والكمال، وبذلك لا يدعو مع الله إله آخر، ولا يعبد إلا إياه.**

**المرتبة الثانية: العبادات الإلزامية:**

**بعد استقرار الإيمان في القلب تأتي المرتبة الثانية، وهي مرحلة العبادة، والعبادة هي الطاعة وهي غاية الخضوع والتذلل، وتعتبر جزء أساسيًّا لقيام الدين وكماله والمحافظة عليه؛ لأنه يشمل باطن الإنسان وظاهره، وهو يوجد بالتصديق وبالاعتراف بوجود الله  خالق الإنسان والكون، وهذا خضوع باطني، والعبادة خضوع ظاهري يلي ذلك الاعتراف، ويكون أمارة تدل على حصوله في القلب، وهذا الخضوع الظاهري ينقل العقيدة من حيز الفكر المجرد إلى حيز القلب الذي يحس ويشعر، فتصير العقيدة قوة دافعة لها حرارتها ولها نور، فالعبادة هي وسيلة تنقل الإنسان من الحالة الأولى إلى الحالة الثانية، وهي حال الإحساس والشعور، فتوقظ العقيدة، وتغذيها وتتغذى بها وتحياها وتحيا بها.**

**ومما يدلنا على هذا الاستقراء، أحوال الرسل في القرآن الكريم، ومبدأ رسالاتهم، ولو تتعبنا ذلك لوجدنا إن الأمر بالإيمان والتوحيد مقدم على الأمر بالعبادة الظاهرية، ونضرب لذلك الأمثلة.**

**ففي حق موسى # قال الله تعالى عند بداية اختياره رسولًا**{ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ} **[طه: 13- 14]، فقدم قضية التوحيد على العبادة؛ لأن التوحيد أساس وأصل لا تقوم العبادة بدونه.**

**وفي حق عيسى # قال تعالى:** {ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ} **[مريم: 36]، أيضًا قدم الاعتراف على العبادة.**

**وفي حق محمد  قال:** {ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ} **[الإسراء: 22، 23].**

**فهذه الآية واضحة الدلالة؛ لأن عدم جعله إلهًا آخر مع الله هو عين التوحيد، وقضاء الله هنا المراد به الأمر، يعني: أمر الله تعالى ألّا يشرك في العبادة مع غيره؛ لأنه غني عن الشركاء، وهذا الترتيب بين الإيمان والعبادة منطقي؛ لأن العبادة ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية، ناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود واستحضاره قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وهذا يقتضي معرفة المعبود أولًا، ثم الانتقال إلى تلك المرحلة التي يمتلئ فيها قلبه بنور الإيمان، وتلبي جوارحه ما في الوجدان طاعة، واستحضارًا لجلاله الرحمن، فالعبادة تابعة للتوحيد في كل دين جاء من عند الله، ومع ذلك مكملة للإيمان بالله، وأصولها مشتركة بين جميع الأنبياء والمرسلين، كاشتراكهم في التوحيد؛ لأن التوحيد في الله وعبادته لا يتغيران، وإن حصل تغير في العبادة من حيث كيفية أداء العبادة المتمثل في الشعائر الظاهرية، ويؤيد اشتراك الرسل والأنبياء في التوحيد وأصول العبادة، قوله تعالى:** {ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ} **[الشورى: 13]؛ لأن توصيتهم بإقامة الدين مع نهيهم عن التفرق فيه يدل على أن الدين الموصى بإقامته واحد؛ لأنه لو لم يكن واحدًا لم يصح النهي بعدم التفرق، وحيث إننا وجدنا التفرق والاختلاف في الفروق بين شرائع السابقين واللاحقين يكون المراد بالدين الأصول التي لا تخضع لظروف الزمان والمكان.**

**جاء في (تفسير القرطبي) المعنى: أوصيناك يا محمد ونوحًا دينًا واحدًا – يعني: في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة- وهي: التوحيد، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، والتقرب إلى الله بصالح الأعمال زلفى إليه بما يرد القلب والجارحة إليه، والصدق، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وتحريم الكفر، والقتل، والزنا، والأذية للخلق كيفما وقعت.**

**والعبادة هي التي تربط الإنسان بالله، وتجعله يتجاوز روابطه الأخرى من ملذاته الشخصية القريبة وعواطفه التي تربطه بالأهل والأولاد والقوم وبني الجنس، والأرض وما فيها، فهو يقفز ويتجاوز هذه الحلقات وتلك النزاعات حتى يصل في آخر الشوط إلى رابطته العليا المحيطة بتلك الروابط، وهي رابطته بالله الخالق الآمر المقدر، وهي أعلى درجات الكمال الإنساني.**

**ويؤكد هذا المعنى قول الله تعالى:** {ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ} **[التوبة: 24].**

**وقد تكلمنا فيما سبق عن الإيمان كأصل تقوم عليه الطاعات، ومن حيث ضرورته للإنسان في حياته الدنيا والآخرة، وفيما يلي نشير إلى أصول العبادة الأربعة، ونعني بذلك: الصلاة والزكاة والصيام والحج.**

**المراجع والمصادر**

1. **الريسوني، أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
2. **ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، (مقاصد الشريعة الإسلامية) ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2005م**
3. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، هيرندن –فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991م**
4. **الجندي، سميح الجندي، (أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم) ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، 2003م**
5. **عطية، جمال الدين عطية، (النَّظرية العامة للشريعة الإسلامية) ، القاهرة، مطبعة المدينة، 1988م**
6. **الحسني، إسماعيل الحسني، (نظرية المقاصد عند ابن عاشور) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
7. **عبد الخالق، عبد الرحمن عبد الخالق، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، مكتبة الصحوة الإسلامية، 1985م**
8. **الفاسي، علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها) ، دار الغرب الإسلامي، 1993م**
9. **الصدي، محمد علي الصدي، (مقاصد الشارع الضرورية دراسة تأصيلية) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2004م**
10. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية: تعريفها، أمثلتها، حجتها) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**
11. **الزحيلي، محمد الزحيلي، (مقاصد الشريعة) ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م**
12. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، الدار العالمية للكتاب الإسلامية، 1994م**
13. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية وصلتها بالأدلة الشرعية وبعض المصطلحات الأصولية) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**